Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 5:1 (1970)

# انتشار الاسلام و نشأة العالم الاسلامى

للدكتور محمد عبدالسلام الكفافى

إن العالم الاسلامى هو المحيط الاكبر للثقافة الاسلامية. و نحن إذا نظرنا اليوم إلى ابعاد هذا العالم تولتنا الدهشة. فهذه الدعوة الاسلامية التى نادى بها رجل نشأ يتيما فى مكة، ذلك البلد الذى لم يكن له شأن يذكر فى العالم وقت ظهور الدعوة، كيف أتيح لها أن تنطلق إلى كل هذه الافاق و تصل إلى ما وصلت اليه اليوم من الانتشار بين هذه الاجناس البشرية العديدة.

لقد أنشأ المسلمون فى أوائل عهدهم بالدعوة الاسلامية دولة عظيمة امتدت من أواسط آسيا الى المحيط الأطلسى. و شملت هذه الدولة دولا كان لها شأنها فى العالم القديم.

خرج العرب من جزيرتهم فقضوا على الدولة الساسانية، و اقتطعوا أعظم أملاك الدولة البيزنطية.

كانت الدولة الساسانية تمتد من أواسط آسيا الى صحراء الشام. و كانت دولة ذات حضارة عريقة وقفت لروما و بيزنطة وقفة الند للند و ظلت تمثل قوة الشرق فى وجه قوة الغرب التى كانت تمثلها روما ثم بيزنطة من بعدها.

و كانت الدولة البيزنطية وريثة اليونان و الرومان و سيدة المنطقة التى تعرف اليوم بالشرق الأوسط.

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

و لم يكد يمضى عهد الخلفاء الراشدين حتى كان المسلمون قد سيطروا على مصر و الشام و ايران. و فى عهد بنى أميه" اتسعت الفتوحات فشملت شمالى افريقيه" و الأندلس و امتدت الى الشرق فأدخلت فى حوزة الاسلام اقليم ماوراء النهر و اقاليم من الهند.

لقد قام الغرب بهذا الفتوح فى أول الأمر. و لكن هذه الفتوح لم يكن معناها انتقال سكان الاقاليم المفتوحه" إلى الاسلام بمجرد تمام الفتح. فقد أتاح الاسلام لأكثر سكان الاقاليم المفتوحه" الابقاء على دينهم. و لم يكن يكلفهم ذلك شيئا سوى دفع الجزيه". و كانت هذه الجزيه" تدفع مقابل حمايتهم و اعفائهم من الجنديه".

و لهذا نجد أن الكثيرين من سكان هذه البلاد قد احتفظوا بدينهم أمدا غير قصير من الزمن.

و لم يقتصر التسامح الاسلامى على أهل الكتاب وحدهم ، بل رأينا هذا التسامح يشمل كثيرا من الناس الذين لم ينص على أنهم من أهل الكتاب. فالفرس المجوس ، لم يذكروا فى القرآن و لا فى السنه" على انهم أهل كتاب ، و كل ماورد بشأنهم حديث يروى ان الرسول قال .( سنوا فى المجوس سنه" أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم و لا آكلى ذبائحهم ) هذا هو النص الوحيد و هو على كل حال غير محقق النسبه" الى الرسول.

و مع هذا فقد وجدنا المسلمين يسلكون سبيل التسامح مع الفرس ، و قد ظل كثير منهم يحتفظون بدينهم القديم حتى القرن الرابع الهجرى. فنرى المسعودى و هو من مؤرخى ذلك القرن يصف لنا بيوت النار التى شاهدها فى ايران. و لم نسمع بأن المسلمين حين فتحوا بلاد ماوراء النهر و أقاليم الهند قد خيروا أهلها بين الاسلام أو القتل و انما وجدناهم

يعاملونهم بتسامح و يقبلون منهم الجزيه".

فالمؤرخ المنصف لا يستطيع اذا نظر اليوم إلى تلك الاقاليم التى انتشر فيها الاسلام أن يعزو ذلك إلى أن العرب الفاتحين سلكوا سبيل العنف فى فرض دينهم على الشعوب المغلوبه"(١) و الشواهد التاريخيه" تنطق جميعا بأن هذا التحول فى تلك الاقاليم المفتوحه" نشأ بالتدريج و عن اقتناع ، و كان ثمرة لقرون عديدة .

كان الغرب فى عصر الخلفاء الراشدين و كذلك فى عصر بنى أميه" يمثلون العنصر الحاكم فى دوله" الاسلام المترامية" الأطراف. و قد رأينا كيف كانوا يعيشون فى معسكرات منفصله" داخل البلاد المفتوحه".

و مضت الدوله" الأمويه" و قامت دوله" بنى العباس. و فى عصر هذه الدوله" زالت سيطرة العنصر العربى فى دوله" الاسلام. لقد عمل الفرس على قلب دوله" بنى أميه" فكان من نتيجه" ذلك ظهور نفوذهم فى دوله" بنى العباس ، و قد تجلى ذلك النفوذ فى تأسيس عاصمه" الخلافه" العباسيه" فى بغداد بالقرب من المدائن عاصمه" الدوله" الساسانيه" ، كما تجلى فى اضلاع الفرس بادارة شؤون الدوله" حين كانوا يلون الوزارات و غيرها من المناصب الاداريه". و بدأت حضارة الفرس تؤثر فى حياة العرب ، و طريقتهم فى الحياة تشيع بين غيرهم من المسلمين كما ان الفرس من جانبهم رضوا بالعربيه" لغه" و بالاسلام دينا. فرأينا علماءهم يؤلفون بهذه اللغه" و يسهمون بنصيب وافر فى حركه" التأليف التى ازدهرت أيام بنى العباس ، كما رأينا أكثرهم و قد هجر دين زردشت وغيره

---

(١) ذكر السير توماس آرنولد فى كتابه (انتشار الاسلام) أنه لم يعثر فى التاريخ على حاله" واحدة استخدم فيها العنف لفرض الدين الاسلامى.

من أديان الفرس القدماء و اعتنق الاسلام.

و لكن هذه الدولة الاسلامية بعد أن وصلت الى أوج عظمتها السياسية بدأت تنال منها عوامل الضعف و التفكك.

بدأ التفكك يظهر حين قامت للأمويين دولة في الأندلس أيام أبي جعفر المنصور ثم ظهر التفكك بشكل أوضح حين ولى المأمون طاهر بن الحسين إمارة خراسان له و لبنيه من بعده، ثم بدأت دويلات أخرى تنفصل عن الدولة بعد ذلك فبدأت الدولة الصفارية التي أنشأها يعقوب بن الليث الصفار تنازع الطاهريين ثم قامت الدولة السامانية فنازعتها. و ظهرت دولة الديالمة البويهيين و طغت على خليفة بغداد و قامت دولة الزياريين في طبرستان ثم ظهرت بعد ذلك الدولة الغزنوية.

و في الغرب نرى مصر تقوم فيها أسرة بعد أسرة استقلت كل منها عن خلافة بغداد فكان من هذه الأسر الطولونيون و الاخشيديون و الفاطميون.

و يرى بعض المؤرخين ان هذا الانقسام السياسي يؤذن بعصر التفكك و الاضمحلال، و الواقع ان هذا الانقسام لا يمثل إلا اضمحلال أسرة حاكمة هي أسرة بني العباس. و لكنه لا يعني على الاطلاق تخلفا حضاريا و لا اضمحلالا ثقافيا. و قد انضم الى استقلال الدويلات قيام ثورات عاتية. فثورة الزنج التي قامت في جنوب العراق (٨٧٠—٨٨٣م) و ثورة القرامطة الذين هاجموا مكة و اقتلعوا الحجرالأسود عام ٩٣٠م و غيرها من الثورات التي أنهكت قوى الخلافة المركزية، كلها كانت ظواهر للضعف السياسي.

و لكن هذا الضعف السياسي لم يتطرق الى الحياة الفكرية، بل ان

من الباحثين من يذهب إلى ان هذا الانقسام قد أفاد العلم و العلماء. فبعد ان كان العلماء يلجأون إلى بلاط واحد هو بلاط خليفة بغداد أصبح كل أمير من الأمراء المستقلين ينافس غيره فى تشجيع العلم و العلماء و العمل على اجتذابهم إلى بلاطه. كما عمل كل منهم على انشاء المعاهد العلمية و إقامة دور الكتب.

من هذا نرى أن ضعف الدولة العباسية و اختفاء العنصر العربى عن مسرح الحوادث لا يعنى اضمحلال العالم الاسلامى و لا تأخره من الناحية الحضارية. ان العرب لم يكونوا سوى الفريق الأول الذى بدأ يشيد صرح العالم الاسلامى و هذا طبيعى، فقد ظهر الرسول بينهم و كانوا أصحاب الدعوة و لكن الدين قد كسب طوال العصور انصاراً جدداً و دفع لخدمته أجناسا اخرين، فكان كل جنس من هذه الاجناس يرفع رايته حيناً من الزمان.

و لم يقتصر ازدهار الاسلام وانتشاره فى أيام عظمة السياسية حين كانت تقوم له دول قوية تعز شأنه بين أمم الأرض. و لكنه حقق فى أيام ضعف المسلمين و انحدارهم نصراً يفوق ما حققه أيام بأسهم و اقتدارهم كما أحرز المسلمون و هم قلة مستضعفة فتوحاً قلما أتيحت لغيرهم و هم كثرة غالبية و سوف نبين ذلك بعد قليل.

بدأ الاسلام ينتظم فى صفوفه غير العرب منذ أيامه الأولى. فلم يكد موسى ابن نصير يتم فتح شمالى افريقية حتى اندفع إلى الساحل الأوروبى معززاً بجيش من البربر. فكان الجيش الذى عبر البحر إلى الأندلس سنة ٧١١م بقيادة طارق جيشاً بربرياً يقوده بربرى. و هناك خلاف حول مدى ايمان هؤلاء البربر الذين حاربوا فى صفوف المسلمين فى هذا الوقت

المبكر من تاريخ الاسلام ، فمن الباحثين من يرى انهم قاموا بهذا الغزو طمعا فى الغنائم و منهم من يرى انهم أسلموا و حسن إسلامهم. و الواقع ان الرأى الأول أقرب إلى الصواب فقد كان تقديم جيش من البربر ليحارب فى صفوف المسلمين شرطاً من الشروط التى صالح عليها موسى بن نصير قبائل البربر المغلوبة. كما ان الاسلام لم يستقر فى تلك البقاع إلا بعد بضعة قرون. و فى عام ١٠٧٧م وصل المسلمون البربر إلى أواسط افريقية فأسسوا مدينة تيمبوكتو على نهر النيجر. و قد ظلت هذه المدينة منذ ذلك الحين مركزاً تجارياً و روحياً للمسلمين فى السودان الغربى. و ظل الاتصال مستمرا بين مراكش و غرب السودان منذ ذلك الحين. فقد بدأت قبيلة بربرية من السنغال حركة المرابطين التى امتدت إلى شمال افريقية كذلك إلى اسبانيا لمدة محدودة. و قد أنشأ هؤلاء المرابطون مدينة مراكش. لقد دعا يوسف بن تاشفين من قبيلة لتمونه و هو زعيم المرابطين الأول ، إلى شن حرب مقدسة لاعادة مجد الاسلام ، فتبعه البربر و سموا أنفسهم المرابطين ، و قد عبر هؤلاء المرابطون البحر إلى اسبانيا حيث هزموا المسيحيين هزيمة ساحقة فى موقعة زلاقة ، و بهذا أعادوا سلطة الاسلام فى تلك البلاد.

و فى القرن الثانى عشر ظهرت حركة جديدة فى المغرب هى حركة الموحدين بزعامة محمد بن تومرت و هو بربرى من قبيلة مصمودة. و قد توفى عام ١١٢٨م (٥٢٢هـ) تاركا زعامة الموحدين لخليفته عبد المؤمن الذى استطاع أن يوجه شمال افريقية حتى حدود مصر و كذلك القسم الاسلامى من بلاد الاندلس تحت سلطانه....

و لا نريد أن نتحدث عن أثر المسلمين من أهل المغرب فى نشر الاسلام

بأفريقيه". ذلك الأثر الذى ظل ساريا حتى القرن التاسع عشر حين أسلم الألوف من زنوج افريقيه" على يد أتباع السنوسى. و قد انتشر الاسلام فى تلك الاقاليم الافريقيه" لا عن طريق الفتح و الغلبه" و لكن عن طريق الدعوة المنظمه" و الارشاد الذى استمر قروناً عديدة و ان كان الأمر لم يخل من وقوع حروب صغيرة فى بعض الأحيان.

فاذا نظرنا إلى الشرق وجدنا القبائل التركيه" تعتنق الاسلام و تصبح عاملا من أقوى العوامل فى المحافظه" على رفع رايته. و أول الدول التى أقامها الترك دوله" السلاجقه". و كل ما نعرفه عن اسلام هذه القبيله" هو ان سلجوق و قبيلته هاجروا من تركستان إلى بخارى فى القرن التاسع الميلادى حيث دان هو وأتباعه بالاسلام. و قد سبق هجرة العنصر التركى الى بغداد حيث عمل كثيرون منهم جنودا فى خدمه" الخليفه" المعتصم. و لكن هؤلاء السلاجقه" وحدوا غرب آسيا تحت سلطانهم و أقاموا امبراطوريه" قويه" وقفت فى وجه الدوله" البيزنطيه" و انتزعت منها أقاليم فى آسيا الصغرى لم يكن قد فتحها المسلمون من قبل. و من أشهر ملوك هذه الأسرة السلطان طغرل و ملكشاه و سنجر و هى التى ظهر فى زمانها الوزير نظام الملك مؤسس المدرسه" النظاميه" و قد صمدت هذه الدوله" لهجمات الصليبيين وردتهم عن العالم الاسلامى.

و فى القرن الثالث عشر منى الاسلام و المسلمون بضربه" قاصمه" تمثلت فى غارات المغول.

فقد اندفع المغول بعد أن توحدت قبائلهم بزعامه" تيموجين الذى يعرف بجنكيز خان كسيل مدمر اجتاح العالم الاسلامى. و قد بدأ هؤلاء المغول غاراتهم المدمرة عام ٦١٦هـ. و اقترنت غاراتهم بالتخريب و التدمير

و القسوة التى لا نظير لها. و قد ظلوا يدمرون مدن العالم الاسلامى الزاهر العامرة مدينة بعد أخرى و يحرقون معاهدها العلمية و خزائن كتبها و يقضون على مظاهر الحضارة و العمران فيها. و ظلوا يتقدمون حتى بغداد عاصمة الخلافة فسقطت فى يد هولاكو حفيد جنكيز خان عام ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) و نالها من الخراب و الدمار ما نال غيرها من مدن الاسلام و ظلوا يتقدمون فى ديار الاسلام لا يهزمهم أحد حتى بلغوا عين جالوت فى فلسطين فهزمهم المصريون و بذلك انحسر شرهم عن بلاد شمال افريقية. و اذا قرأنا ما كتبه المورخ ابن الأثير الذى عاصر حوادث الغزو المغولى نرى كيف كان وقع تلك الحادثة فى نفسه، قال: (لقدبقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها كارها لذكرها فأنا أقدم اليها رجلا و أؤخر أخرى، فمن الذى يسهل عليه ان يكتب نعى الاسلام و المسلمين و من الذى يهون عليه ذكر ذلك، فياليت أمى لم تلدنى و ياليتنى مت قبل هذا و كنت نسيا منسيا، إلا أنه حثنى جماعة من الاصدقاء على تسطيرها و أنا متوقف ثم رأيت ان ترك ذلك لا يجدى نفعاً فنقول: هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى و المصيبة الكبرى التى عقت الايام و الليالى عن مثلها عمت الخلائق و خصت المسلمين فلو قال قائل ان العالم منذ خلق الله سبحانه و تعالى آدم إلى الان لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا، فان التواريخ لم تتضمن ما يقاربها و لا ما يدانيها. و من أعظم ما يذكرون من الحوادث ما صنعه بخت نصر ببنى اسرائيل من القتل و تخريب بيت المقدس، و ما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرب هؤلاء الملاعين من بلاد التى كل مدينة فيها اضعاف البيت المقدس، و ما بنو اسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا فان أهل مدينة واحدة ممن قتلوا أكثر من

بنى اسرائيل(١).

لم يعش ابن الأثير ليرى كيف تطور التاريخ إلى غير ما توقع فهؤلاء المغول الذين دمروا حضارة المسلمين و خربوا مدنهم سرعان ما دخلوا ضمن حظيرة الاسلام و حملوا رسالته إلى آفاق لم تبلغها من قبل.

لقد تنافس البوذيون و المسيحيون و المسلمون فى اكتساب هؤلاء القوم إلى عقيدتهم فانقسمت دولة المغول بعد وفاة جنكيز خان الى أقسام عديدة حكم كل قسم منها ابن من أبناء هذا الفاتح. و لكن سرعان ما خضع المغول لحضارة الاسلام و آمنوا بالرسالة المحمدية. فكان اسلام بركة خان ملك القبيلة الذهبية الذى كان يحكم دولة تقع على شواطىء الفولغا و فى شبه جزيرة القرم (١٢٥٦—١٢٦٧) و معه أتباعه ايذانا بدخول الاسلام إلى تلك البقاع. كما تردد ملوك المغول فى فارس و هم الذين كان لقب الواحد منهم ايلخان، بين اعتناق الاسلام و اعتناق المسيحية أو البقاء على دين آبائهم حتى جاءغازان سابع هؤلاء الملوك فأسلم و أسلم معه عشرة آلاف مغولى و ذلك فى عام ٦٩٤هـ (١٢٩٥م) كما يرجع الى المغول الاخرين فضل انتقال الاسلام الى بلاد تركستان و يذهب بعض المؤرخين إلى انه يرجع اليهم شيء من الفضل فى انتشار الاسلام فى الصين.

و هكذا نرى الاسلام يتغلب على غزاته الطغاة و يسخرهم لنشر رسالته.

---

(١) تاريخ الكامل، حوادث عام ٦١٧.

و خرج تيمورلنك فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) غازيا مقتفيا طريق من سبقه من المغول. و على الرغم من ان هذا الرجل كان قد اعتنق الاسلام إلا أن أعماله دون شك تتنافى مع أعمال المسلمين و تتفق مع اعمال أسلافه من المغول الوثنيين.

و قد قام فى أثر الغارات المغوليه على العالم الاسلامى دول إسلاميه ثلاث هى الدوله العثمانيه فى آسيا الصغرى، و دوله المغول فى الهند ثم الدوله الصفويه فى ايران.

فأما الدوله العثمانيه فقد كان بناتهما الاول قبيله من قبائل الترك دفعها الغزو المغولى أمامه من أواسط أسيا حتى جاءت إلى آسيا الصغرى و هناك استقر هؤلاء بجوار مدينه اسكى شهر فى الأناضول و كانت المقاطعه التى نزلتها هذه القبيله واحدة من مقاطعات عديدة تقع على الحدود بين بيزنطه و بلاد الاسلام. و لا نعرف شيئا واضحا عن زعماء القبيله الاولى. أما زعيمها الأول الذى عرف التاريخ شيئا عنه فهو عثمان وقد أحاط باسمه كثير من الأساطير، كما انه الزعيم الذى سميت الدوله باسمه من بعده، و قد ظل آل عثمان يوسعون رقبه الارض التى يحتلونها حتى استولى محمد الفاتح على القسطنطينيه عام ١٤٥٣، و اتسعت امبراطوريه آل عثمان فشملت شمال افريقيه و بلاد الهلال الخصيب و شواطىء البحر الاسود و القسم الجنوبى الشرقى من أوروبا. و فى عام ١٥٢٠ وقف الترك لأول مرة أمام أسوار فيينا. و قد أدى وجود الترك فى البلقان إلى ظهور مجتمعات اسلاميه هناك فأسلم أهل البانيا و بعض أهل البوسنه بيوغسلافيا الحاليه و غيرهم من سكان البلقان.

أما فى الهند فقد أسس تركى آخر هو محمد ظهيرالدين الذى كان

يدعى بابر ( أى النمر ) دولة المغول العظام فى الهند. ولد بابر هذا فى عام ١٤٨٣م لاحد أمراء المقاطعات فى أواسط آسيا. و ينتمى بابر من جهة أبيه إلى تيمور و من جهة أمه إلى جنكيز خان، و عند ما بلغ التاسعة عشرة من عمره عبر اقليم هندوكوش الى البنجاب و هزم الجيوش التى اعترضته عند الممر المؤدى إلى وادى الغانج و أصبح بابر جد المغول العظام. و لم يؤد دخول المغول العظام إلى انتشار الاسلام لأول مرة. كان الاسلام قد دخل الهند منذ قرون عديدة و تبع طريق الغزاة المسلمين الذين تعاقبوا على مر العصور. و لكن المغول العظام عاونوا على زيادة انتشار الدين و تثبيت إقدامه فى شبه القارة الهندية. و قد ظل المغول يتوارثون الملك فى الهند حتى ١٨٥٨ م حين أقصى البريطانيون آخر سلاطينهم عن العرش و نفوه خارج البلاد.

و من هنا نرى أن هجرات الترك و غزواتهم قد أضافت إلى الاسلام أقاليم واسعة قد تبلغ فى سعتها ما فتحه العرب فى القرون الأولى لاسلام فقد دخل الاسلام على أيديهم إلى آسيا الوسطى و الهند و شبه جزيرة الأناصول و بلاد البلقان ثم إلى الفولغا و الترم.

و لكن غزوات الاسلام لم يقتصر مداها على البلاد التى نشأت بها دول إسلامية أو حكمها مسلمون بل تبع الاسلام طريق القوافل و انتشر مع تجار العرب إلى أنحاء من الأرض لم يهبطها جيش اسلامى فاتح. فالقارئ لرحلات ابن بطوطة الذى جاب أرجاء واسعة من العالم فى القرن الرابع عشر الميلادى ، يرى هذا الرحالة يتحدث عن المسلمين فى اقليم الفولغا و شرق افريقية و على ضفاف نهر النيجر و فى اندونيسيا والصين ، و من هذا نرى أن الاسلام لم يبق جامدا ضمن حدوده السياسية التى حملته اليها

فتوحاته و إنما تخطاها إلى بقاع نائيه تبعد كثيرا عن قلب العالم الاسلامى. و يزداد عجب المرء حين يرى هذا النجاح المنقطع النظير فى نشر العقيدة على الرغم من ان الدين لا يعترف بسلطه دينيه مركزيه تنظم الدعوة و تشرف عليها كما هو الحال فى الأديان الأخرى. لقد ظل الاسلام يمتد إلى البقاع النائيه بلا حرب و يغزو الشعوب دون سيف، و بلغ أقصى درجات نجاحه فى جزر الهند الشرقيه حيث اعتنقه أكثر سكان تلك الجزر و امتد منها إلى جزر الفيليبين فظهر فيها مجتمع إسلامى استطاع أن يؤرق أجفان الغزاة الاسبان ما يقرب من أربعه قرون.

و قد بلغ الاسلام أواسط افريقيه أيضا دون أن تسنده دوله. و كان وصول الدعوة المحمديه إلى هذه البقاع من ناحيتين، ناحيه بلاد المغرب على يد البربر و قد ذكرنا ذلك من قبل، و كذلك من ناحيه المحيط الهندى. فأما المسلمون من أهل المغرب فقد بدأوا ينزلون تلك الأصقاع فى القرن العاشر الميلادى و قد شيدوا تيمبكتو على نهر النيجر فى عام ١٠٧٧م.

و ظل الاتصال مستمرا خلال طرق القوافل التى تمتد عبر الصحراء الغربيه الكبرى و أقرب مثل لأثر المغرب على بلاد افريقيه ما شهدناه فى القرن التاسع عشر و أوائل العشرين من إسلام الكثيرين من الزنوج على أيدى أتباع السنوسى.

و قد كانت سفن التجار تبحر بحذاء الشواطىء الشرقيه للقارة الافريقيه منذ القرون الأولى للاسلام. و كان العرب من سكان جنوب الجزيرة العربيه يقومون برحلات تجاريه و بخاصه حين تهب الرياح الموسميه التى

تعاون على الملاحة في المحيط الهندى. و قد أنشأ هؤلاء العرب مستعمرات على الساحل الشرقى لافريقية و من هذه المستعمرات زنجبار و ممبسة و دار السلام و موزنبيق. و قد ظل العرب ملازمين لهذه المستعمرات الساحلية زمنا طويلا و لم يتوغلوا داخل القارة إلا قليلا. و لما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح قامت بينهم و بين العرب منافسة تجارية قوية، ولكنهم لم يستطيعوا القضاء على نشاط العرب التجارى. فلما جاء الاستعمار الغربى إلى تلك المناطق الافريقية عاون على انتشار الاسلام إلى داخل القارة و ذلك بتمهيده سبل الاتصال بالدخل. و انضم المسلمون الذين هاجروا من الهند إلى العرب فى نشر الدعوة الاسلامية فى تلك البقاع، و قد أصبح المسلمون فى افريقية فى الوقت الحاضر يبلغون نحو خمس سكان القارة. و لايزال فى تلك القارة ما بين سبعين و ثمانين مليوناً من الزنوج، و هناك تنافس بين الأديان فى اجتذاب هؤلاء الوثنيين، و قد التفت العالم الغربى الان إلى هذه الحقيقة لما لها من أهمية سياسية فى تقرير مستقبل القارة الافريقية.

و كما جاب الملاحون العرب البحار إلى افريقية حملتهم سفنهم أيضاً حول شبه القارة الهندية حيث مروا خلال مضايق ملقة الى الصين. و قد استطاع هؤلاء التجار بعد قرون عديدة أن ينشئوا مستعمرات على سواحل جزر الهند الشرقية. و من هذه المستعمرات انتشر الدين الاسلامى لو كانت النتيجة هذه الدولة الاسلامية الكبيرة التى نعرفها الان باسم اندونيسيا و سكان هذه الدولة من جنس الملايو كما يتكلم أهلها أيضا لغة الملايو لقد اعتنق بعض حكام شبه جزيرة ملقة دين الاسلام، و من هناك انتشر الاسلام فى جاوة و سومطرة و بورنيو ثم الى بعض جزر الفيليبين. و حين

بدأ المستعمرون الأوروبيون يهبطون جزرالهند الشرقية وجدوا عدداً من سلاطين المسلمين يحكمون مقاطعات فى تلك الجزر . ولكن الاسلام لم ينتشر انتشارا تاما فى اندونيسيا إلا بعد أن احتلها الأوروبيون.

لقد حاول المستعمرون البرتغاليون أن يقطعوا المسلمين فى جزر الهند الشرقية عن إخوانهم فى الدين و لكن الهولنديين سمحوا بشىء من الاتصال بين بلاد الاسلام و تلك الجزر.

و قد هاجر إلى جاوه و سومطره عدد كبير من العرب الذين يسكنون الساحل الجنوبى لشبه الجزيرة. كما كان الالاف من سكان جزر الهند الشرقية يتصلون باخوانهم فى الدين عند ما كانوا يؤدون فريضة الحج فى مكة.

و قد وصل التجار المسلمون إلى الصين منذ القرون الاولى للاسلام ، فقد أذن حكام الصين فى القرن الثامن الميلادى لبعض التجار المسلمين من الفرس و العرب أن يقيموا فى بعض البلاد الساحلية و بخاصة ثغر كانتون. و لكن يظهر ان المسلمين الذين وصلوا إلى الصين لم يكونوا من حيث الكثرة العددية مقاربين للمسلمين هاجروا إلى جزر الهند الشرقية. و لهذا لا نجد لهم نشاطا واضحا بين الأثر فى الدعوة إلى الدين.

و الظاهر ان انتقال الاسلام إلى الصين نشأ من الاتصال البرى بين الصين و بلاد الاسلام و بخاصة ذلك الاتصال الذى كان يتم عبر طريق الحرير الممتد من الصين إلى بلاد تركستان. و قد يرجع قدر كبير من انتشار الاسلام فى الصين إلى عصر المغول فهم أول من أوجد صلة قوية بين شعوب الشرق الأقصى و آسيا الوسطى و بين شعوب الشرق الأوسط و شرق أوروبا.

و من هذه الحقائق التاريخيه التى ذكرناها نرى ان الاسلام قد انتشر فى الأرض بفضل الأجناس العديدة التى اعتنقته ، و ان هذا الانتشار لم يكن وليد الفتح و الغزو و لا ثمرة للسيطرة السياسيه و انما كان ثمرة تحول تدريجى فى البلاد التى فتحها المسلمون. و نرى كذلك ان الاسلام لم ينحصر داخل نطاق حدوده السياسيه و انما تعداها إلى آفاق أخرى لم يكن للمسلمين بها نفوذ سياسى فى أيه فترة من تاريخهم. ثم نرى فى نهايه الأمر ان الاسلام حقق كثيرا من انتصاراته الباهرة فى وقت أصيب فيه المسلون بالضعف و أصبحوا نهبا لأطماع المستعمرين الأوروبين.

مع الشكر لمجله الفكر الاسلامى